

تفسير ابن كثير

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون يحدرونه من نعمة الله وعدا به الدائم السرمدي ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد فقالوا : { إنَّمَا مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مَجْرِيَهُ } أي يلقى الله يوم القيمة وهو مجرم { إِنَّ لِهِ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا } قوله : { لَا يَقْضِيَهُنَّ أَيَّامَ الْقِيَامَةِ } كذلك نجزي كل كفور { وَقَالَ : { وَيَتَجَنَّبُهَا أَشْقَىٰ مَا يَرَى } * الذين فيهم عذابها كذلك نجزي كل كفور { وَقَالَ : { وَنَادَوْا يَا مَالِكَ لِيَقُضِيَ عَلَيْنَا رَبَّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُرْتُمْ } * ثم لا يموت فيها ولا يحيى { وَقَالَ تَعَالَى : { وَنَادَوْا يَا مَالِكَ لِيَقُضِيَ عَلَيْنَا رَبَّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُرْتُمْ } وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ وَلَكِنَّ أَنَاسًا تُصَبَّبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ فَتُمْيِتُهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحِمَا أَذْنَ فِي الشَّفَاعَةِ فَجَيْءُ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ فَبَثَثُوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفَيَضُوا عَلَيْهِمْ فَيُنَبَّتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ] فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بِالْبَادِيَّةِ وَهَذَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِهِ الصَّحِيفَ مِنْ رِوَايَةِ شَعْبَةَ وَبَشَرَ بْنِ الْمُفْضَلِ كَلَاهُمَا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَعِيدَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا أبي حدثنا حيان سمعت سليمان التيمي عن أبي نصرة عن أبي سعيد أن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب فأتى على هذه الآية { إنَّمَا مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مَجْرِيَهُ } قوله تعالى : { أَمَّا أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ وَأَمَّا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [أَمَّا أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَإِنَّهُمْ تَمَسَّهُمْ ثُمَّ يَقُومُ الشَّفَاعَةَ فَيُشَفَّعُونَ فَتُجْعَلُ الضَّبَائِرُ فِيؤْتَى بِهِمْ نَهْرًا يُقَالُ لَهُ الْحَيَاةُ أَوُ الْحَيْوَانُ فَيُنَبَّتُونَ كَمَا يَنْبَتُ الْعَشْبُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ] . وقوله تعالى : { وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ } أي ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمناً القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله { فَأَوْلَئِكَ لَهُمُ الْدَّرَجَاتُ الْعُلَى } أي الجنة ذات الدرجات العالىات والغرف الامتنان والمساكن الطيبات قال الإمام أحمد : حدثنا عفان أئبنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : [الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلىها درجة ومنها تخرج الأنهر الأربع والعرش فوقها فإذا سألتهم الله فسألوه الفردوس] ورواه الترمذى من حديث يزيد بن هارون عن همام به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى أخبرنا خالد بن يزيد بن

أبي مالك عن أبيه قال : كان يقال : الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فيهن الياقوت والحلبي في كل درجة أمير يرون له الفضل والسؤدد وفي الصحيحين : [إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاصل ما بينهم - قالوا يا رسول الله : تلك منازل الأنبياء قال - بلى والذى نفسي بيده رجال آمنوا بما وصدقوا المرسلين] وفي السنن : وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما قوله : { جنات عدن } أي إقامة وهي بدل من الدرجات العلي { تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها } أي ماكثين أبدا { وذلك جزاء من تزكي } أي طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاؤوا به من خير وطلب